قاضي القضاة عبد الجبار المعتزلي
Judge Abd al-Jabbar al-Mu'tazili

ضياء عبد الخالق جسام

الجامعة المستنصرية

Mustansiriya University

Researcher Diya Abdel Khaleq Jassam

adiya9386@gmail.com

الآية

هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ

الملخص

المعتزلة : هم فرقة من المتكلمين يخالفون اهل السنة في بعض المعتقدات على راسهم واصل بن عطاء الذي اعتزل واصحابه الحسن البصري(السيد ٢٠٠١, ص.٢١٩) كذلك هو اسم يطلق على فرقة ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني ، حيث سلكت منهجا عقليا متطرفا أي محايد في بحث العقائد الإسلامية وهم أصحاب واصل بن عطاء الذي اعتزل عن مجلس الحسن البصري, قال السمعاني: كان القاضي عبد الجبار أحد المعمرين والفضلاء المقدمين، جمع التفسير الكبير الذي لم ير في التفاسير أكبر منه ولا أجمع للفوائد، لولا أنه مزجه بكلام المعتزلة، وبث فيه معتقده، وهو في ثلاثمائة مجلد، منها سبع مجلدات في الفاتحة.ولقد اتجه المعتزلة نحو التأييد المذهبي بآيات القرآن، والتأصيل القرآني للأصول الفكرية، كما اتجه غيرهم من المذاهب سواء الصحيحة أو الباطلة، وسلكوا في تفسير القرآن الكريم مسلك المستفيد لمذهبه. **الكلمات المفتاحية : المعتزلة, العقائد الاسلامية, اهل السنة ,عبد الجبار المعتزلي.**

ABSTRACT

The Mu'tazilites: They are a sect of theologians who differed from the Sunnis in some beliefs. Their leader was Wasil bin Ata, who retired, and his companions Al-Hasan Al-Basri (Al-Sayyid 2001, p. 219). It is also a name given to a sect that appeared in Islam in the early second century, when it followed an extremist rational approach, i.e. Neutral in discussing Islamic beliefs, they are the companions of Wasil bin Ata’, who retired from the council of Al-Hasan Al-Basri. Al-Sam’ani said: Al-Qadi Abd al-Jabbar was one of the pioneers and virtuous leaders. He compiled the great interpretation, which he did not see in interpretations greater than it or more comprehensive in its benefits, had he not mixed it with the words of the Mu’tazilites, and broadcast it. It contains his belief, and it is in three hundred volumes, including seven volumes on Al-Fatihah. The Mu'tazilites tended towards sectarian support with the verses of the Qur'an and the Qur'anic rooting of intellectual principles, just as other sects, whether true or false, tended towards sectarian support with the verses of the Qur’an and the path of a beneficiary of their doctrine. Keywords: Mu'tazilites, Islamic beliefs, Sunnis, Abd al-Jabbar al-Mu'tazili.

المقدمة

الحمد لله الذي ميز الإنسان بالعقل وهداه إلى ما ينفعه ولا يضره، وأودع عبده مشارب الفكر والعلم ما كان تبصرة لأولي الألباب والصلاة والسلام على سيدنا محمد البشير النذير والسراج المنير، خير من حمل الرسالة وأدّى الأمانة، لسان الصدق ورأس الحكمة وصاحب الموعظة البالغة، وعلى آله الأطهار وأصحابه الأبرار ومن تبعهم بإحسان , إلى يوم الدين وبعد :يعد العقل الأساس ، أو الركيزة الأساسية التي يعتمد عليها المعتزلة بصورة عامة ، والقاضي عبد الجبار المعتزلي على وجه الخصوص ، لما للعقل من أهمية خاصة في إبعاد الغموض عن النصوص اللغوية ، وتفسير المتشابه ورده إلى المحكم ، ومعرفة أدلة العدل والتوحيد ، والحقيقة والمجاز ، إذ أنها تخضع للعقل ودلالته ، وسأحاول في هذا البحث معرفة المنهج العقلي للقاضي عبد الجبار في كتابه متشابه القرآن _ ولاشك أن علم المتشابه من أجل علوم القرآن الكريم وذلك بعد الإحاطة بحياة القاضي، ومعرفة مناهج المفسرين وبيانها، وبيان أصول أهل الإعتزال وأرجو من الله أن يجعل هذا البحث خالصا لوجهه الكريم .

بيان الموضوع

فلا تزال نصوص القرآن الكريم تتنازع عليها الأقلام وتتشغل في بحورها الأفهام دون بلوغ نهاية المرام لما في النص القرآني من دلالات كثيرة يجس فيها المتبحر روح الحياة والمعاصرة ، يقول الله عز وجل : {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ ، لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ }(البقرة : ٢٤٢) ويقول تعالى : {وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا العَلِمُونَ }(العنكبوت: ٤٣)القاضي أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن الخليل بن عبد الله المعتزلي الأسدآبادي (٣٥٩ – ٤١٥هـ، ٩٦٩ – ١٠٢٥م) المولود في أسد آباد (أفغانستان) والراجح أن نسبه عربي من همدان.(ابن الأثير, ١٩٩٧, ٣٦٢/٧) يلقبه المعتزلة بـ"قاضي القضاة" ولا يطلقون هذا اللقب على سواه.[(عبد الجبار , ص٩) ، ولهذا يصعب الأخذ بما حسبه الخطيب البغدادي (الخطيب ,٢٠٠٢, ص١٧٢) وجزم به أن وفاته في عام ٤١٥ للهجرة وفى أول هذا العام.أقام بمصر سنين، ثم رحل إلى بغداد، وكان داعية إلى الاعتزال، ويقول: لم يبق من ينصر هذا المذهب غيري , وقال ابن النجار: كان طويل اللسان ولم يكن محققا إلا في التفسير، فإنه لهج بالتفاسير حتى جمع كتابا بلغ خمسمائة مجلد،حشا فيه العجائب، حتى رأيت منه مجلداً في آية واحدة وهي قوله تعالى: {واتبعوا ما تتلوا الشياطين} (السيوطي , ١٩٧٤, ص٦٧).

شيوخه : كان القاضي ينتقل من مسجد إلى مسجد ، ومن بلد إلى آخر يطلب العلم ، وكان طلب العلم في عصره، يتطلب التنقل والترحال وحضور مجالس العلماء ، والأخذ عنهم ، واعتبر المسجد في زمانه (شرح العيون للحاكم , ص٢٦٦) , هو المصدر التعليمي الأول، فالكل يقصده لأن يتعلم ويعلم . وقد تحمل القاضي شدة عناء السفر ومكابدة الترحال للعلم ، ومن أجل العلم صير وثابر وجد في تطلبه والتضلع فيه " حتى فاق الأقران وخرج واحد دهره وفريد زمانه وكان من أبرز شيوخه وأشهرهم : أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سلمة القطان المتوفي سنة ٣٤٧ه (الذهبي,١٩٨٥ , ص٧٠) ، وأبو محمد عبدالرحمن بن حمدان الجلاب المتوفي سنة ٣٤٢ه(السبكي ,١٩٩٩, ص٩٧) ، وأبو محمد عبدالله بن جعفر الأصفهاني المتوفي ٣٤٦ه (تاريخ بغداد , ٢٠٠١, ص٤١٤).وعبدالله بن العباسي الرامهرزي أبو محمد (القاضي , ص٣١٢) ، وأبو إسحاق إبراهيم عياش (الزرزور, د ت , ص١٥)، وأبو عبد الله الحسين بن علي البصري الشيخ المرشد (شرح العيون ,مصدر سابق, ص٣٦٦) ، وكان القاضي يردد دائما قوله: شيخنا أبو علي (ابن النديم , ٢٠٠٩, ص٢١٣)، وشيخنا أبو هاشم (الاعلام , ص٧)، ويقصد بذلك شيخه في المذهب وليس في الدرس ، فالقاضي ما تتلمذ لهما أو لأحدهما للفرق الزمني الطويل بينه وبينهما ، ولكنه كان معتزليا على مذهبهما (الزرزور , ص١٥).

تلامذته : قضى القاضي عبد الجبار مدة في التدريس والتأليف والإملاء طويلة ، فقد بدأ حياته العلمية في وقت باكر ، وعمر دهرا طويلا حتى ظهر له الأصحاب ، وبعد إنتشار صيته . وذاع رحلت إليه طلبة العلم فكثر تلاميذه والناقلون عنه، حتى صاروا مدرسة كبيرة ضمت نخبة من الرجال الذين تركوا آثارهم على الدراسات العقائدية والجدلية والكلامية بعد القرن الرابع الهجري.

ومن أشهر تلاميذه :إسماعيل بن علي بن أحمد أبو القاسم البستي(القاضي عبد الجبار,١٩٦٢, ص٣٨٥)وأبو رشيد سعيد بن محمد بن سعيد النيسابوري, وأبو الحسين : بن علي الطيب البصري المتوفي سنة ٤٣٦ه (لسان الميزان,١٩٧١ , ص٥٩٨).وأبو محمد الحسن بن أحمد بن منويه (شرح العيون,١٩٦٤ , ص٣٨٩)، وأبو يوسف عبد السلام بن محمد القزويني ،والشريف المرتضى (وفيات الاعيان,١٩٩٤ , ٣١٣) ، وأبو القاسم علي بن المحسن التنوخي (معجم الادباء , ١٩٩٣, ص١٨٤٦) وهؤلاء هم أبرز تلاميذه ، وهناك تلاميذ كثيرون ، درسوا على القاضي وأخذوا عنه (شرح العيون ١٩٦٤, ص٣٨٣) .

مؤلفاته :يقول الحاكم الجشمي:" يقال أن له أربعمائة ألف ورقة في تصنيفه لشتى أنواع العلوم وكان موفقا في التصنيف والتدريس ، وكتبه تنوعت أنواعا (شرح العيون, مصدر سابق , ص٣٦٧), وربما لأول نظرة تحكم على كلام الحاكم بأن فيه مبالغة، ولكن عرفنا – سابقا– أن ثقافة القاضي كانت مشهورة في وساعة عقله ورجاحته ، بدأ بدراسة القرآن والحديث واللغة والفقه وأصوله ، وانتهت إلى دراسة العقائد والمذاهب ، وقد عمر دهرا في التصنيف والكتابة ، من أجل ذلك كثرت تأليفاته وتعددت وتنوعت " وذكر جميع مصنفاته فيه نوعا من العذر " (شرح العيون, مصدر سابق , ص٣٦٩).ترك القاضي مؤلفات في فروع كثيرة من العلوم الإسلامية، تعد من أمهات الكتب في ذلك، ومن أكثرها أصالة ، كانت ذات أهمية كبيرة في عصره ، ومازالت تحتفظ بأهميتها البالغة في عصرنا الجديد ، لاسيما مؤبفاته في الجدل الديني ومقارنة الأديان ، قال صاحب لسان الميزان عنه وأملأ عدة أحاديث وصنف الكتب الكثيرة في التفسير والكلام (لسان الميزان,مصدر سابق , ص٢٨٧) وهذه الآثار هي (عثمان, د ت , ص٢٠) :

– الأمالي في الحديث « المسمى نظم الفوائد وتقريب المراد للرائد – تثبيت دلائل نبوة سيدنا محمد – تنزيه القرآن عن المطاعن – الخلاف بين الشيخين – رسالة في علم الكيمياء – شرح الأصول الخمسة – فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة – متشابه القرآن المحيط بالتكليف – المغنى فى أبواب التوحيد والعدل – أدب الجدل – رد الإختلاف في أصول الفقه – النصارى – شرح الأراء . آداب القرآن اختيارات الأدلة – الإعتماد تكملة الجوامع – التفسير الكبير – الشرح– الخاطر في الكلام الرازيات – الدواعي والصوارف – الخوارزميات – الحدود– المقالات ما يجوز فيه التزايد ومالا يجوز – المبسوط – المغني في أصول الدين، وغيرها الكثير مما وجد منسوبا له مثل : المنع) والتمانع – نقض الإمامة – نصيحة المتفقه – النيسابوريات المقدمات– مسألة في النية – المصريات – العسكريات– الطرميات ... إلخ) .

الحالة السياسية :كانت حياة القاضي عبد الجبار في العصر الثاني للخلافة العباسية، وكانت بداية الخلافة تنقسم إلى دول وإمارات ، وظهرت خصومة شديدة بين الأمراء، وتحول الخليفة إلى لعبة يلهو بها – قبيل أن يستولوا البويهين على الحكم – الأتراك الذين كانت قيادة الجيش تحت سيطرتهم منذ أن قرهم المأمون وكان يعتمد عليهم المعتصم ، وقد بلغ من هوان الخليفة أن اعتلى العرش خلال ما يقرب من تسع سنوات أربعة من الخلفاء تقريباً هم : المنتصر ت ٢٤٨ه ، والمستعين ت ٢٥٢ه، والمعتز ت ٢٥٥ه، والمهتدي ت ٢٥٦ه ، وقضى الأتراك على هؤلاء الأربعة إما بالقتل أو التعذيب أو الخلع. ودفعت هذه الظروف السيئة بالخليفة المستكفي – بعد ذلك – إلى دعوة بني

بويه، فدخل أحمد بن بويه بغداد سنة ٥٣٣٤ ، وخلع الخليفة عليه ولقبه "معز الدولة" . وكذلك لقب أخويه ، وضرب ألقاهم على السكة (السيوطي,٢٠٠٤ , ص٢٨٦) ، وهكذا انتقلت السلطة في القرن الرابع الهجري إلى بيني بويه ، وهم من سلالة ديلمية ، اختلف الكتاب في أصلهم (دائرة المعارف الإسلامية , ص٣٥٨)، وقد رافق القاضي دولة بني بويه منذ نشأتها ، وحتى قبل سقوطها ، وبدأت في المشرق الإسلامي بعد مقتل مرداويج بن زيار سنة ٣٢٣هـ ، وفي المشرق انتهت على يد محمود الغزنوي ، وتوزعت الخلافة العباسية في عهد البويهيين بين أبناء ركن الدين بن بويه الثلاثة : مؤيد الدولة في أصفهان ، وفخر الدولة في الري وهمذان ، وعضد الدولة في فارس وبغداد (حسن , ١٩٧٨, ص٤١).وعبد الجبار كان قاضياً من القضاة لمؤيد الدولة أولا ثم فخر الدولة، كما رافق القاضي – بحياته الطويلة – سنة من خلفاء الدولة العباسية في بغداد (السيوطي, مصدر سابق , ص٢٩).وكان شيخ المعتزلة في عصره. وهم يلقبونه قاضي القضاة، ولا يطلقون هذا اللقب على غيرولي القضاء بالري ومات فيها ,أصبح من علماء المعتزلة وأعلامها, وعاش القاضي في هذه الحقبة التي تميزت بالاضطراب السياسي العنيف في مختلف أقطار الدولة الإسلامية ، وشعر الناس بخيبة أمل من أن سيطرة البويهيين على الحكم ستعيد الاستقرار إلى الأقاليم المتنافسة، اذ استمرت الحروب والغارات بين البويهيين والحمدانيين ، واضطرمت فتن القرامطة في أجزاء كثيرة من البلاد، واشتدت غزوات الروم على الحدود الإسلامية مستغلين ضعف الخلافة والانقسام من الأمراء والقادة فيها، والصراع المستمر بين فروع دولة بني بويه وما أسرفوا فيه من خلع الخلفاء وقتلهم وتشويههم، مما أدى إلى إضعاف سلطة الدولة وإزالة خوفها من قلوب الناس (عبد الجبار,١٩٧٤ , ص١٧) , انعكس هذا الاضطراب السياس على الحياة الاقتصادية ، في عهد بني بويه أصاب الناس الغلاء في بغداد لدرجة أنهم اضطروا إلى أكل الميتة والكلاب والسنانير والأشواك ، وأصيب الناس بالأورام والأمراض وزاد الموت فيهم ، حتى أن الناس لم يتمكنوا من دفن موتاهم (ابن الاثير, مصدر سابق , ص٤٠٦) .عاش ببغداد ثم عين الصاحب إبن عباد قاضيا ثم قاضي القضاة بالرأي كان يستند على المذهب الشافعي فالفروع والمذهب االشعري في الأصول ثم تحول من الأشعرية إلى الاعتزال وهو من أواخر نبهاء المعتزلة لديه العديد من المؤلفات في علم الكلام وكتابه الضخم والمتكون من عدة أجزاء) المغني في أبواب العدل والتوحيد) و(شرح الأصول الخمس) يعرف القاضي عبد الجبار العقل فيقول : " إعلم أن العقل هو عبارة عن جملة من العلوم.مخصوصة متى حصلت في المكلف صح منه النظر والاستدلال والقيام بأداء ماكلف"(حسن زينة ,١٩٧٨, ص ١١)بمعنى أن العقل العاقل هو الذي يصل إلى سن البلوغ كما ذكرنا سابقا," فالفرق بين العقلالعاقل المكلف الذي يستطيع التمييز بين خيرية الأفعال وشريتها وبين عقل الصبي الذي.لم يصل إلى حد البلوغ والتكليف بعد فمثله مثل المجنون ياتي تعريف العقل في كتاب المغني في أبواب العدل والتوحيد للقاضي عبد الجبار فيقول : "هو إعلام المكلف أن عليه في أن يفعل أوال يفعل نفعا او ضررا مع مشقة تلحق أو إذا لم تبلغ الحال به حد الإلحاد"(القاضي عبد الجبار ,مصدر سابق, ١١/١١)

الخاتمة :

من دون سائر المعتزلة ومن حسن حظّ القاضي عبد الجبار أنّه قد طبعت كميّة هائلة من كتبه في الفترة الأخيرة، وهذه الكتب رفعت الستار عن وجه عقائد المعتزلة وأغنتنا عن الرجوع إلى كتب خصومهم، فنذكر ما طبع:

١–كتاب تنزيه القرآن عن المطاعن: وقد تم طبعه في بيروت في مطبعة النّهضة الحديثة. وعنوانه يحكي عن محتواه ويجيب فيه عن كثير من الأسئلة الّتي تدور حول الآيات. قال في ديباجته: «فقد أملينا كتاباً يفصِّل بين المحكم والمتشابه. عرضنا فيه سور القرآن على ترتيبها وبيّنّا معاني ما تشابه من آياتها، مع بيان وجه خطأ فريق من الناس في تأويلها، ليكون النفع به أعظم». وطبع أيضاً في القاهرة سنة ١٣٢٦.

٢ –طبقات المعتزلة: وهو الأساس في «طبقات المعتزلة» لابن المرتضى. نشره فؤاد سيّد، بعنوان «فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة» مع كتاب «ذكر المعتزلة» للكعبي و«الطبقات الحادية عشرة والثانية عشرة من شرح العيون» للحاكم الجشمي طبع سنة ١٤٠٦.

٣– ونشر عبدالكريم عثمان في القاهرة سنة ١٩٦ مـ١٣٨٤ هـ كتاب شرح الأُصول الخمسة, وهو كتاب مختصر جامع يعرض عقائد المعتزلة عامّة وعقيدة القاضي عبد الجبار خاصّة، وهو أحسن كتاب لمن أراد أن يطّلع على عقائدهم، وقد أملاه على تلاميذه.

المصادر :

– الجشمي الحاكم, شرح العيون, ت / فؤاد السيد, طبعة تونس ,١٩٧٤

– حسن زينة ، العقل عند المعتزلة ,دار الافاق الجديدة , بيروت,,١٩٧٨, ص ١١.

– الخطيب البغدادي ,تاريخ بغداد , ت / بشار عواد ,دار الغرب الاسلامي, بيروت , الطبعة الاولى, ٢٠٠٢م.

– السبكي ، تاج الدين عبد الوهاب بن علي (٧٧١ هـ / ١٣٦٩م) ، طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : مصطفى عبد القادر ، ط١(بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م) ، ج ٣ .

– سير أعلام النبلاء, شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ),المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ,الناشر : مؤسسة الرسالة,الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

– السيوطي ,عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: ٩١١هـ), طبقات المفسرين العشرين المحقق: علي محمد عمر,الناشر: مكتبة وهبة – القاهرة,الطبعة: الأولى، ١٣٩٦.

– السيوطي جلال الدين ,تاريخ الخلفاء, ت / حمدي الدمرداش,مكتبة نزار الباز ,الطبعة الاولى ,٢٠٠٤.

– السيوطي جلال الدين, الاتقان في علوم القرآن , ت /محمد ابو الفضل , الهيئة المصرية للكتاب , ١٩٧٤.

– عبد الجبار قاضي القضاة , فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة , ت/ فؤاد سيد ,طبعة تونس , ١٩٧٤.

– عثمان عبد الكريم ,قاضي القضاة عبد الجبار بن احمد الهمذاني,دار العربية,بيروت.

– الكامل في التاريخ, أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ),تحقيق: عمر عبد السلام تدمري,الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان,الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

– متشابه القرآن – ج ١ . ٢, القاضي عبد الجبّار بن أحمد الهمذاني,المحقق: الدكتور عدنان محمّد زرزور,الناشر: مكتبة دار التراث,الطبعة: د ت.

– محمد الصالح السيد مدخل الى علم الكلام, دار القباء, القاهرة ٢٠٠١.